البابُ الأولُ

الجاهِليَّة والشِّعْرُ الجاهِليُّ

الفصلُ الأولُ : الجاهليَّة في أرض العُروبَة.
الفصلُ الثاني : صُورة المجتمَعِ الجاهليِّ.
الفصلُ الثالثُ : الوضعُ السياسيُّ لأهلِ الجزيرة.
الفصلُ الرابعُ : الشِّعْرُ والشُّعراءُ في ظلالِ الجاهليَّة.
الفصلُ الخامسُ: الشِّعْرُ الجاهليُّ ومَدَى وثاقَتِه.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصلُ الأولُ

الجاهليَّة في أرض العُروبَة

تقع الجزيرة العربية مهدَ الجنس العربي وموطن نشأته في الطرف الجنوبي الغربي من قارة آسية التي هي أعظم قارات الدنيا، ومنشأ الجنس البَشري الأول من حيث الوجود، حيث يحدّها من الشمال بادية الشام، ومن الجنوب المحيط الهندي وبحر العرب، ومن الشرق الخليج العربي، ومن الغرب البحر الأحمر (أو بحر القُلْزُم) الذي يفصل بين قارتي آسية وإفريقية ثانية القارات حجماً واتساعاً.

ووجه تسمية هذه البلاد باسم جزيرة، أن الجزيرة في أصل اللغة ما ارتفع عنه الماء، أخذاً من معنى الجَزْرِ الذي هو ضدّ المدّ، ثم توسع فيه فأطلق على كلّ ما دار حوله الماء.

ولما كانت هذه البلاد محاطةً بالبحر الأحمر من جهة الغرب، والمحيط الهندي من جهة الجنوب، والخليج العربي من جهة الشرق، والفرات من جهة الشمال، أُطلق عليها لفظُ جزيرة وإن كان لها اتصال بالبرّ، وذلك على سبيل التشبيه والمجاز الجاري عليه كلام الفصحاء[1].

وقد أضيفت إلى العرب لأنهم الجنس الوحيد الذي سكنها، ولم يسكنها سواه وبعض المؤلفين المُحْدَثين يقولون: (شبه الجزيرة العربية) وضعاً للأمور في نصابها[2].

ويقسم الجغرافيون هذه البلاد إلى خمسة أقسام هي: تِهامة والحِجاز ونَجْد والعَروض واليمن.

١- أما تِهامة: فتقع في الغرب وهي المنطقة الساحلية الضيقة المطلة على البحر الأحمر، وكان العرب القدماء يطلقون عليها الغور لانخفاضِ أرضها، وقد يبلغ عرضها في بعض الأماكن خمسين ميلاً، وتسمى في الجنوب باسم تِهامة اليمن، ويوجد بها بعض الثغور مثل الحُدَيْدَة في اليمن وجُدَّة ويَنْبُع[3] في الحِجاز. وكان

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي جـ ١، ص١٨٧.

(٢) الأستاذ علي الجندي في كتابه تاريخ الأدب الجاهلي ص١٩.

(٣) الحُدَيْدَة وجُدَّة -بضم الجيم والدال المشددة، ويَنْبُع -بوزن يَنْدُر- موانئ ثلاث على البحر الأحمر.

العرب يضيفون اسم تِهامة إلى القسم الذي تحاذيه من أجزاء الحجاز واليمن فكانوا يقولون : « تهامة الحجاز ـ وتهامة عَسير ـ وتِهامة اليمن » أي : الأرض المنخفضة المقابلة لتلك الأجزاء،وأكثر أجزاء تِهامة أرض رملية شديدة الحرارة قليلة الإنبات .

٢ـ الحِجاز : وهي سلسلة جبال السَّراة[١] التي تمتد من الشمال إلى الجنوب شرقي تِهامة، فاصلة بينها وبين هَضْبَة نَجْدٍ، وسُمّيت حجازاً، لأنها حجزت بين تِهامة ونَجْد، وهو إقليم كثير الأودية والمناطق البركانية والحرَّات، وهي أراضٍ رملية تعلوها قمم بركانية قديمة ـ فيما يرى الباحثون في علم الجيولوجية ـ ويتخلل أرض الحجاز كثبان رملية، وآكام خصبة كانت ـ منذ القدم ـ مساكن القبائل، كما توجد فيها بعض الآبار والعيون التي قامت حولها القرى والضياع، ويوجد بمنحدراتها عيون مياه تنبت حولها بعض الحبوب ومراعي الماشية .

وأهم مدن الحجاز : مكة ويثرب والطائف .

فمكة تعرف بأمِّ القُرَى، أي أُمّ المدن، وفيها الكعبة موطن حجهم وتقديسهم من قديم الزمن، فكان العرب يحجّون إليها، ويتَّجرون في أسواقها، ويبتاعون ما يحتاجون إليه منها، وفيها ولد الرسول الأعظم ﷺ، وفي جنوبها جبل ثور، وفيه الغار الذي احتمى به صلوات الله عليه عندما هاجر إلى المدينة، وتقيم بمكة قريش وكِنانة وبجنوبها هُذَيل .

وأما يثرب ـ التي سميت فيما بعد بالمدينة، أي مدينة الرسول ﷺ عندما اتخذها مقرّاً له بعد أن هاجر من مكة ـ فتقع في وادٍ خِصْبٍ تكتنفه المرتفعات، وتكثر فيه الآبار والعيون، وكذلك الزروع والأشجار، والنخيل والثمار،مما جعلها من المراكز الزراعية في بلاد العرب،ومن أودية المدينة وادي العقيق، وهو من أخصب الأودية وأجملها، وفيه منازل وقصور وقرى ومن أوديتها وادي بطحان ووادي قَناة .

وكان بالمدينة الأوس والخزرج ـ وهم الأنصار في الإسلام ـ وبنو قُرَيظة والنَّضير وقَيْنُقاع من اليهود .

وأما الطائف ـ وهي على بعد خمسة وسبعين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من مدينة مكة ـ فتقع على ظهر جبل غزوان، وتَحُفُّ بها أودية وآبار كثيرة، وأرضها خِصْبَةٌ، وكان أكثر سكانها عند ظهور الإسلام من قبيلة ثقيف .

---

(١) بفتح السين المشددة .

٣- نَجْد : وهي هضبة فسيحة تقع بين الشام والعراق واليمامة والحجاز، وفيها صحراوات وجبال، وفيها أراضٍ كثيرة متناثرة صالحة للزراعة، وهي أطيب أرض في بلاد العرب، وأجودها هواء، وأكثرها أزهاراً، ويسمى العرب جزءها المرتفع مما يلي الحجاز أرض العالية التي كان يحميها كليب بن ربيعة،وفيها قُتل بسبب ناقة البسوس، التي كانت سبباً في اشتعال نار الحرب المروعة المعروفة بحرب البسوس. أما جزؤها المنخفض مما يلي العراق فيسمونه السافلة، وكذلك يسمون شرقيها بما يتصل باليمامة باسم الوشوم، أما شماليها إلى جبل طيِّئ فيسمونه القَصيم،قال ابن الأعرابي : " نجد اسمان : السافلة والعالية، فالسافلة ما ولي العراق والعالية ما ولي الحجاز وتهامة" ، وقال الأصمعي : " إذا جُزْتَ ذاتَ عِرْق إلى البحر فأنت في تهامة، وإذا جُزْتَ وَجْرةَ وغَمْرةَ فأنت في نجد إلى أن تبلغ العُذَيْب، وغَمْرةُ في طريق الكوفة، ووَجْرةُ في طريق البصرة"(١).

وفي نَجْد كثير من القبائل العربية المشهورة كطيِّئ وتميم وبكر وتغلب وقيس عَيْلان وغطَفان، وكثيراً ما تغنى الشعراء بجمالها، قال الصِّمة بن عبد الله القُشَيْريُّ(٢):

حَنَنْتَ إلى رَيَّا ونفسُكَ باعدَتْ ... مَزارَكَ من رَيَّا وشِعْباكُما معا

فما حَسَنٌ أنْ تأتيَ الأمرَ طائعاً ... وتَجْزَعَ إنْ داعي الصبابةِ أَسْمَعا

قِفا وَدِّعا نجداً ومَن حلَّ بالحِمى ... وقَلَّ لنَجْدٍ عندنا أن يُوَدَّعا

بنَفْسِيَ تلكَ الأرضُ ما أَطيبَ الرُّبا ... وما أحسنَ المُصْطافَ والمُتَربَّعا

٤- العروض :وسميت عروضاً لاعتراضها بين نجد واليمن والعراق،وتشمل عُمَان واليمامة والبحرين، فعُمان تقع في الجهة الجنوبية الشرقية للجزيرة، ويشتهر أهلها بالملاحة، واليمامة دون مدينة الرسول ﷺ في المقدار، وهي أكثر نخلاً من بلاد الحجاز، وفيها مياه كثيرة، ومنها زرقاء اليمامة التي كانت تشتهر بحدْة البصر، وشدَّة الفطنة والذكاء، وفيها ظهر "مسيلمة الكذاب"، والبحرين تطلّ على الخليج العربي وهو قطر متسع كثير النخل والثمار، ومن أشهر مدنه "هَجَر" التي

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي جـ ١، ص٢٠٠.

(٢) المرجع السابق ١ : ١٩٨.

خربها القرامطة عندما استولوا على البحرين، وبنوا مكانها الأحساء وهي مدينة كثيرة المياه والنخيل والفواكه، وعلى ساحل الخليج العربي كانت توجد "الخط" المشهورة وإليها تنسب الرماح الخطية[1].

٥- اليمن: ويطلق على كلّ الجنوب فيشمل حَضْرَموت ومَهْرَة، والشِّحْر، كما يطلق أيضاً على الزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، وقد اشتهرت اليمن منذ القدم بخصْب سهولها،وجُوْدَة أراضيها، التي أتاحت لأهلها إقامة دول، وتكوين حضارات، وصفها القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿**لقد كانَ لسبأ في مَسْكَنِهِمْ آيةٌ جَنَّتانِ عَنْ يمينٍ وشمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُم واشْكُروا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ورَبٌّ غَفورٌ**﴾[سبأ: ١٥].

ومن أشهر مدن اليمن صنعاء وزَبِيدُ وظَفَارِ وعَدَنٌ ونَجْرانُ، ومن أشهر وديانها تَبالَةُ وبيشَةُ وكانت به مأسدة، وفي جنوبي شرقي صنعاء تقع مدينة مَأْرِبَ ويقال لها سبأ، وكانت مدينة طيِّبة الهواء، عَذْبة الماء،كثيرة البساتين والخيرات.

وتتألف اليمن من ثلاثة أقسام طبعيَّة: ساحل ضيق خصْب هو تهامة اليمن، ثم جبال موازية للساحل هي امتداد جبال السَّراة، ثم هضبة تُفْضِي إلى نجد وصحراء الربع الخالي. ويسمى الجزء الشمالي من اليمن المتاخم للحجاز باسم عَسِير.

أما صحاري الجزيرة العربية فهي شاسعة جداً وأهمها اثنتان:

١ - صحراء السماوة: وتسمى اليوم صحراء النفود، وتشمل معظم شمالي الجزيرة حيث تقع بين بادية الشام في الشمال وهضبة نجد في الجنوب، وتغطيها الرمال المتحركة الجافة التي تجعل السير فيها شاقاً وعسيراً، وتتلاعب الرياح برمالها ـ بفعل عوامل التعرية ـ فتجعل منها كثباناً ووهاداً، وهي منطقة نادرة المياه، ليس فيها إلا القليل من الآبار والعيون التي توجد في واحاتٍ قسمها الأوسط، وسكانها بدوٌ رُحَّل، يقيمون فيها شتاءً، ويرحلون عنها صيفاً إلى التخوم الشمالية طلباً للماء والكلأ.

٢-صحراء الربع الخالي: وتقع ما بين نجد في الشمال، وحضرموت واليمن في الغرب،ومرتفعات عُمَان في الشرق، وقد سمتها العرب جملة أسماء، فالجزء الذي بين شرق اليمن وحضرموت يسمى صَيْهَداً، والذي بين شمالي حضرموت

---

(١) تاريخ الأدب الجاهلي للدكتور علي الجندي ١/ ٢٩.

وشرقيها يسمّى الأحقاف، والذي في شمالي مَهْرَة يسمّى الدَّهناء، ويطلق على جميعها الآن الربع الخالي. وقد قدرت مساحتها بخمسين ألف ميل مربع، وأغلب أرضها مستوية صلبة، متناثرة الحَصْباء متموجة الرمال، وهي مجدبة بوجه عام،وقد ينزل بها مطر إلا أنه قليل، فينبت عليه بعض الكلأ، ويقيم بها البدو شتاءً ، ويرحلون عنها صيفاً.

ومناخ الجزيرة العربية في جملته حارٌّ شديد الحرارة في أغلب فصول السنة، وذلك لوقوع أكثر البلاد في المنطقة الحارة، وقد يعتدل الليل في المناطق المرتفعة صيفاً ، والمطر في الجزيرة العربية قليل بوجه عامّ، ويستبد بها الجفاف، وينتشر فيها الجدب والقحط، حيث إن الزراعة والنباتات قليلة تبعاً لسقوط الأمطار التي يهتم بها السكان كثيراً، فيترقبون هطولها ويتناقلون أخبارها، لأن فيها الخيرَ والحياةَ لهم ولأنعامهم، وهم يفرحون ويتيمنون بسقوطه ويطلقون عليه الغيث،لأنه يغيث الأرض ويُكسبها الخِصْبَ والنماء، ويُغيثُ أهلها فيسقيهم ويُحْيي لهم الزرعَ والضرع. وقد يحدث أحياناً أن يتحول المطر إلى سيول جارفة، تجتاح كلّ ما أمامها من قلاع وحصون ومن أشجار وزروع، وقد وصف امرؤ القيس في معلقته سيلاً جارفاً حدث بالقرب من تيماء، حيث كانت منازل بني أَسَدٍ وأنه يقول:

أصاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَه ... كَلَمْعِ اليَدَيْنِ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

يُضِيءُ سَناهُ أَوْ مَصابيحُ راهبٍ ... أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ المُفَتَّلِ

على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِه ... وأَيْسَرُه على السِّتَارِ فَيَذْبُلِ

فأضحَى يَسحُّ الماءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ ... يَكُبُّ على الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

وَمَرَّ على القنانِ مِنْ نَفَيَانِه ... فأنزلَ منهُ العُصْمَ من كلِّ منْزِلِ

وتَيْماءَ لم يَتْرُكْ بِها جِذْعَ نَخلةٍ ... ولا أُطُماً إلا مَشِيداً بجَنْدَلِ[1]

وتهب على بلاد العرب رياح مختلفة بعضها بغيض إليهم وثقيل عليهم، وتعرف برياح السَّمُوم التي تهب صيفاً، فتشوي الوجوه شَيّاً، حيث تحمل معها الرمال من

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص٤٣ - ٤٦، ط صبيح ١٩٦٨م.

صحراء إلى صحراء، فتسبب الخراب والدمار. أما ألطف رياحها وأحبها إلى قلوبهم فهي الرياح الشرقية، ويسمونها الصَّبا التي تغنى بها شعراؤهم وأكثروا من ذكرها كقول بعضهم(١):

ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتِ من نَجْدِ لقد زادني مسراكِ وجداً على وَجْدِ

وتكثر الزروع والثمار في قرى الحجاز واليمامة وفي جنوبي الجزيرة وشرقيها، كما توجد بها بعض أنواع الفاكهة، واشتهرت اليمن قديماً بأشجار اللبان والطِّيب، وحديثاً بأشجار البن، كما تشتهر الطائف بالكروم، ويعتبر النخيل عموماً أهمّ أشجار الجزيرة العربية، ويوجد في البادية أنواع من أشجار الغَضَا والأَثْلِ والأَرْطَى والسِّدر (الطلح) والحنظل وغيرها.

أما الحيوانات فمن أهمها لديهم الخيل التي اعتمدوا عليها في الفروسية والقتال والغارات، والجمل الذي يُعَدُّ من أسرة البدوي فهو لا يستغني عنه، وكثراً ما تقدر ثروة البدوي بعدد ما يملك من الإبل، لأنها تدرّ عليه الحليب، وتحمله في أسفاره وتطعمه اللحم، ثم الأغنام التي تُرَبَّى للحومها وألبانها وأصوافها. وفي الجزيرة كذلك حيوانات وحشية توجد في جبالها كالأسد والضَّبُع والنَّمِر والذئب وابن آوى، ويوجد في صحاريها الأوعال والظباء والنَّعام والزراف وحمار الوحش وأُتُنه، وفيها كذلك من الطيور الحمام واليمام والغراب، والصقر والنسر والعقاب، ثم القطا وهو يشبه الحمام، وقد اهتم بعضهم بالنحل كقبيلة هُذَيل التي اشتهرت به وكانت تُعْنَى ببيوته وخلاياه. وفي الجزيرة من الزواحف الثعبان والعقرب والضَّب وغيرها.

طبقات العرب:

العرب من الشعوب السامية التي تنتسب إلى سام بن نوح الذي ورد ذكره في التوراة(٢)، ويرى كثير من العلماء والباحثين أن لغات هذه الشعوب متقاربةُ الملامح متشابهة المنطق في الكثير من مظاهرها مما يؤكد أنها من أصل واحد، ويسمونها اللغات السامية كالعربية والسريانية والعبرانية والحبشية والآرامية وغيرها(٣).

---

(١) هو عبد الله بن الدمينة الخثعمي (الألوسي جـ ١ ص١٩٨).

(٢) سفر التكوين الإصحاح العاشر.

(٣) العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص٢٢.

وقد اختلف المؤرخون في منشأ تلك الشعوب السامية،فيرى بعضهم أنهم نشؤوا مع الحاميين في موطن واحد لعله في شمالي إفريقية، ثم هاجر الساميون إلى بلاد العرب عن طريق باب المندب أو عن طريق شبه جزيرة سيناء،ويرى آخرون أنهم نشؤوا مع الآريين في أواسط آسية أو في أرمينية، ويرى غير هؤلاء وأولئك أن مهدهم جزيرة العرب، وأنهم لما كثروا وضاقت بهم رقعة الأرض، تشعبوا وانتشروا في البقاع المجاورة، فظهر البابليون والآشوريون والآراميون والعبرانيون والفينيقيون. ومهما يقال في المهد الأول لأصل نشأتهم الذي يتعمق في عصور ما قبل التاريخ، فإن العلماء والباحثين يتفقون على أن موطنهم في مختلف العصور التاريخية كان الجزيرة العربية حيث نزلوا بها واستقروا فيها ومن ثم اكتسبوا هذا التشابه في لغاتهم(١).

أما عن تسمية العرب بهذا الاسم فيرى الألوسي(٢) أنهم سموا بالعرب لاشتهارهم بالفصاحة والبيان وذلاقة اللسان، من قولهم أعرب الرجل عما في ضميره، إذا أبان عنه فهو مشتق من الإبانة، ويقول(٣): إن لفظ العرب في الأصل اسم لقوم جمعوا عدة أوصاف: أحدها أن لسانَهم كان اللغةَ العربية، والثاني أنهم كانوا من أولاد العرب، والثالث أن مساكنهم كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب.

وذهب بعض العلماء إلى الترادف بين لفظي "العرب" و"الأعراب" وأنهما بمعنى واحد، قال الجوهري في كتاب "الصحاح": العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار، والنسبة إلى العرب عربي، وإلى الأعراب أعرابي، والذي عليه العرف العام إطلاق لفظ العرب على الجميع، ومثل هذا في القاموس وغيره من كتب اللغة. وذهب بعضهم إلى أن العرب هم سكان المدن والقرى، وأن الأعراب هم سكان البادية(٤).

والحق أن لفظ الأعراب يقصر على البدو، وأن لفظ العرب يشمل البدو والحضر، فتطلق كلمة العرب على سكان المدن والقرى، كما تطلق على سكان البادية، فهي تشمل هؤلاء وأولئك. ثم إن كلّ من عدا العرب فهو عجمي سواء الفرس والترك والروم والإفرنج وغيرهم. ولا شك أن جنس العرب أفضل من جنس العجم كما يستفاد ذلك

---

(١) العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص٢٢.

(٢) بلوغ الأرب جـ ١ ص٨.

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص١١.

(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص١٢.

من الأحاديث الواردة عنه ﷺ، وأنه عليه السلام أمر بحبهم كما ورد ذلك[1]، أضف إلى ذلك أن لغتهم لغة القرآن الكريم وأن الرسول ﷺ قد بُعث منهم.

وقد اعتاد المؤرخون والنسابون أن يقسموا العرب إلى طبقات:

أ- العرب البائدة.

ب- العرب الباقية. ثم إن العرب الباقية تنقسم إلى قسمين:

١- القحطانيون. ٢- العدنانيون.

أ- العرب البائدة، أي: الهالكة، وهي التي بادت آثارها، واندثرت أخبارها، ويسميها بعضهم: العرب العاربة، أي الراسخة في العروبة. ولم يبق من أخبارها إلا لمحات ضئيلة، تحدث عنها القرآن الكريم للعبرة والموعظة، والمشهور منهم قبيلة عاد، وكانت بلادها الأحقاف - بين اليمن وعُمان إلى حضرموت والشّحر- قال الله تعالى: ﴿**واذكر أخا عادٍ إذ أنْذَرَ قَومَه بالأَحقافِ وقد خَلَت النُّذُرُ من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾ [الأحقاف: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿**فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحقِّ وقالوا من أشدّ منا قوة**﴾ [فصلت: ١٥].

وقد وصف القرآن الكريم قوم عاد وما كانوا عليه من فن العمارة والصناعة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَتَبْنونَ بكلِّ ريعٍ آيةً تعبثون وتَتَّخذونَ مصانعَ لعلَّكُم تَخْلُدونَ وإذا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبّارين فاتقوا اللّهَ وأطيعون. واتَّقُوا الذي أَمَدَّكُم بما تعلمونَ. أَمَدَّكُم بأَنْعامٍ وبنينَ وجناتٍ وعيون**﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٤]. والمعروف أن الأحقاف اليوم صحراء قاحلة، والواقع أن ما أصابهم كان عقوبة من السماء. قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ ربُّكَ بعادٍ، إرَمَ ذاتِ العمادِ، التي لم يُخْلَقْ مثلُها في البلاد**﴾ [الفجر: ٦-٨].

ثم قبيلة ثمود وكانت مساكنهم بالحِجْر ووادي القُرَى بين الحجاز والشام، قال الله تعالى: ﴿**وأمّا ثمودُ فهَدَيناهُم فاستَحَبُّوا العَمَى على الهدى**﴾ [فصلت: ١٧]. وقد أقاموا منشآت عظيمة في العلا ومدائن صالح، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال الصخرية، وقد أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فكفروا به، وعقروا الناقة، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وقد وصف القرآن الكريم ثمود بالحياة الزراعية

---

(١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص٦.

المستقرة الخصبة، وبفن العمارة كذلك، قال تعالى: ﴿**أَتُتْرَكونَ في ما هَا هُنا آمنين. في جنّات وعيون، وزُروع ونَخْلٍ طَلْعُها هَضيمٌ وتَنْحِتُونَ من الجبالِ بيوتاً فارِهِينَ**﴾ [الشعراء ١٤٦-١٤٩] ثم العمالقة الذين تضرب بهم الأمثال في ضخامة الأجسام، وهم قبائل عدة، وكان موطنهم عامة عُمان والحجاز وتِهامة ونجد، ثم طسم وجديس وكانت ديارهم باليمامة.

ب- العرب الباقية، أي: الذين عاشوا وبقيت آثارهم وأخبارهم، وبقي نسلهم حيّاً حتى اليوم، وتقسم العرب الباقية إلى قسمين كبيرين: عاربة ومستعربة، أي إلى قحطانيين وعدنانيين.

١. القحطانيون: ويُطلَق عليهم كذلك عربُ الجنوب أو الجنوبيون، أو عرب اليمن، لأنهم كانوا يسكنون اليمن جنوب الجزيرة العربية. وبعض الباحثين يطلق عليهم أيضاً العرب العاربة والعرب المتعربة، وهم بنو قحطان ـ الذي يسمى في التوراة باسم يارح بن يقطان[١] ـ الذين نزحوا من أرض الفرات واتخذوا اليمن منازل لهم، وأقاموا فيها حضارتهم القديمة ودولهم السابقة. ويقال: إن أباهم يعرب بن قحطان هو أول من نطق بالعربية من هذا الجيل، وأنه أصل اللسان العربي، وقد افتخر بذلك حسان بن ثابت فقال:

تعلمتُمُ من منطقِ الشيخِ يعرُبٍ أَبينا فَصِرتُمْ مُعْربينَ ذَوِي نَفْرِ
وكنتم قديماً ما لكم غيرَ عُجْمَةٍ كلامٌ وكنتُمْ كالبَهائِم فِي القَفْرِ[٢]

ومع أن الموطن الأصلي للقحطانيين هو اليمن إلا أنهم انتشروا في جهات شتى من الجزيرة العربية، وقد هاجر عرب الجنوب إلى الشمال وأقاموا لهم مدنيات وممالك عرفت لهم فيها حضارات عميقة، ومعرفة بشؤون السياسة أكثر من عرب الشمال الذين كانوا يكوِّنون بدو الجزيرة ولم يظهر مجدهم إلا في ظلِّ الإسلام.

وأشهر قبائل القحطانيين: كَهْلاَن وحِمْيَر ولكلٍّ منهما فروع شتى. أما كهلان فمن بطونها: "الأزْدُ" ومنها بنو غَسَّان ملوك العرب بالشام، وكذلك الأوس، والخزرج سكان المدينة، و"طيِّئٌ" وكان موطنهم اليمن ثم هاجروا منها بعد سيل العرم وأقاموا

---

(١) قصة الأدب في الحجاز للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص٢٩.
(٢) المرجع السابق ص٢٩.

بنجد وسكنوا جبلي أَجَأٍ وسُلْمَى،وكذلك "كِنْدَة" باليمن ونجد، ثم :بَجِيلَة" و"لَخْم" و "عاملة" شمالي الشام، و"مَذْحِجُ" و"هَمْدان" باليمن و"جُذَام" التي منها لَخْم مؤسسة مملكة الحيرة على الفرات.

وأما حِمْيَر فكان موطنهم مشارف اليمن وظَفَارِ وما حولها، من أشهر قبائلهم: "قُضَاعَةُ" التي كانت تسكن شمالي الحجاز، وأهم قبائل قضاعة: "بَلِيٌّ و "جُهَيْنَةُ" شمالي الحجاز و"عُذْرَةُ" جنوب الحجاز وإليهم يُنسب الحبّ العذريّ و "تَنُوخُ" وقد نزلوا شمالي الشام قرب المَعَرَّة و "كلب" الذين سكنوا بادية الشام.

٢. العدنانيون: ويطلق عليهم كذلك عرب الشمال أو الشماليون، لأنهم كانوا يسكنون شمالي بلاد اليمن في أرض الحجاز وتهامة ونجد وما وراء ذلك إلى مشارف الشام والعراق، ويسمون كذلك العرب الإسماعيليين؛ لأنهم ينسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكان إسماعيل عليه السلام قد تزوَّج من جُرْهُم[١] عندما هاجر به أبوه إبراهيم عليه السلام إلى مكة بوادٍ غير ذي زرع ومعه أمه هاجر المصرية، وبعد أن صاهر جُرْهُماً وكثر أولاده، استقلوا بهذه البلاد،وأصبحوا عنصراً جديداً يخالف في الحياة والتقاليد واللغة عنصر القحطانيين، ويذكر النسابون أن أولاد إسماعيل كانوا اثني عشر ولداً ذكراً، وكان من ذريته عدنان. أما عن سلسلة نسب العدنانيين إلى عدنان فهي ثابتة ومعروفة عند العلماء، ولا خلاف عند العلماء أن العدنانيين من ولد إسماعيل عليه السلام. ولكن الخلاف فيما قبل عدنان من الأسماء ـ أي ما بين عدنان وإسماعيل ـ والمهم أنه لا خلاف عند العلماء في أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام[٢].

وكان العدنانيون قد استفادوا اللغة من عرب الجنوب، ونقلوا عنهم العادات والأخلاق بفضل مصاهرة إسماعيل لقبيلة جُرْهُم اليمنية. والحقّ أن حياة العدنانيين كانت بدوية، تقوم على رعي الإبل والماشية، وطلب الماء والكلأ فيقيمون إذا نزل المطر وأمرعت الأرض، ويرحلون إذا جفَّت السماء إلى مكان آخر طلباً للكلأ والمرعى، ولهذا لم يتهيأ لهم الاستقرار إلا في بعض الواحات التي مكنتهم من ذلك كما في الحجاز ونجد.

---

(١) هي قبيلة جُرْهُم الثانية اليمنية التي نزحت من الجنوب إلى الشمال، وهي غير جُرْهُم الأولى إحدى القبائل البائدة.

(٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص١٩.

والعدنانيون أهل الحجاز هم أصحاب اللغة الفصحى، فقد نزل القرآن الكريم بلهجة قريشٍ، وهم الذين حملوا المشاعل العربية، وأوقدوا المصابيح الإسلامية فيما بعد، أما أهل الجنوب القحطانيون فقد بادت دولهم، وطويت صحائفهم قبل البعثة بعدة قرون.

وقد أعقب مَعَدُّ بن عدنان نزاراً،ومن بطونه انقسمت القبائل العدنانية فقد أعقب نزارٌ إياداً وأنماراً وربيعةَ ومضرَ، وكان أشهرهم وأكثرهم ربيعة ومضر.

أما ربيعة فمنها بَكرٌ وتَغْلب ابنا وائلٍ اللتين كانت بينهما حروب طويلة بعد مقتل كليب كادت تفني الحيَّين جميعاً، ومنها بنو حنيفة باليمامة الذين ينتسبون إلى بكر ابن وائل، وقبائل ربيعة كثيرة، ولها شهرة وذكر عظيم في تاريخ العرب، حيث كانوا ينافسون مضرَ في السيادة والشرف.

وأما مضر: فتشعبت إلى قسمين كبيرين:

١- قيس عَيْلان بن مضر، ومن أشهر بطونها: هَوازِنُ وسُليمٌ غربي نجد، ثم غطَفان التي منها عبس وذُبْيان وبينهم كانت حرب داحس والغبراء، ومن قيس أيضاً: عامر بن صعصعة ومنه تفرعت بطون كثيرة.

٢- إلياس بن مضر: وتشعبت منه بطون عديدة منها: تميم بن مُرٍّ، وهُذَيْل بن مُدْرِكَة، وبنو أَسَد بن خُزيمة بن مدركة، وكِنانة بن خزيمة بن مدركة، ومن كِنانة: قريش، وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كِنانة(١).

وإذا أردنا أن نوازن بين القحطانيين والعدنانيين لوجدنا ما يلي:

١- أن القحطانيين كانوا يعيشون عيشة قرار،وتغلب عليهم الحضارة، بينما نجد العدنانيين تغلب عليهم البداوة والترحل، ولم يهتموا بزراعةٍ أو صناعةٍ.

٢- أنهم يختلفون كذلك من الناحية الثقافية والعقلية والسياسية وذلك لاختلاف الظروف التي أحاطت بحياتهم البدوية أو الحضرية.

٣- كذلك يختلفون في اللغة، فلغة الجنوب كانت تخالف لغة الشمال من حيث الأوضاع والتصاريف. ويرى بعض العلماء أن لغة اليمن أكثر اتصالاً بالحبشية والأَكَّادية، ولغة الحجاز أكثر اتصالاً بالعبرية والنَّبْطِيَّة(٢).

---

(١) محاضرات في الأدب الجاهلي د. سليمان حسن ربيع ص٣٥.

(٢) فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص٥.

معنى الجاهلية:

الجاهلية: الزمان الذي كثر فيه الجهال، وهي ما قبل الإسلام،ويقوم ابن خالويه: إن هذا الاسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة(١).

وهي علم على العصر الذي كان في الجزيرة العربية قبل مبعث الرسول ﷺ.

ولفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال، وهو الغالب في الكتاب والسُّنَّة، والأقوال المأثورة، أما في الكتاب الكريم فجاء في قوله تعالى: ﴿**يظنونَ بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ الجاهلية**﴾ [آل عمران : ١٥٤] وقوله تعالى: ﴿**إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حميةَ الجاهلية**﴾ [الفتح :٢٦] ومن السّنّة قول الرسول ﷺ لأبي ذَرٍّ حين عيَّرَ رجلاً بأمِّه: "إنك امرؤ فيك جاهلية"(٢)، ومن الأقوال المأثورة قول عُمَرَ رضي الله عنه: "إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة" وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء" وقولهم: "يا رسول الله كنا في جاهلية وشَرٍّ" فالمقصود في كل هذا حال جاهلية، أو طريقة جاهلية، أو عادة جاهلية أو نحو ذلك، فالجاهلية وإن كانت في الأصل صفة فقد غلب عليها الاستعمال حتى صارت اسماً، ومعناه قريب من معنى المصدر. وقد يكون لفظ الجاهلية اسماً لذي الحال، أي صفة كما تقول:طائفة جاهلية،وشاعر جاهلي(٣):

والجاهلية من حيث كونها اسماً لزمنٍ ما تطلق على العصر الذي كان قبل بعثة الرسول ﷺ، ولا يصح أن تطلق على زمن بعد هذه البعثة، أما إذا أُطلق لفظ الجاهلية مراداً به الصفة، فقد يوصف بها بلد غير إسلامي،وقد يوصف بها الشخص قبل أن يسلم، وقد يوصف بها شخص مسلم يتصف بصفات الجاهلية أو عاداتها، فهو جاهلي وإن كان من أهل الإسلام، بدليل قول الرسول ﷺ: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة" وقوله ﷺ لأبي ذَرٍّ وقد عيَّر رجلاً بأُمِّه: "إنك امرؤ فيك جاهلية"(٤).

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي جـ ١ ص١٥.

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص١٥.

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص١٦.

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص١٧.

والجاهلية من جهة الاشتقاق اللغوي: مصدر صناعي، مأخوذ من "الجاهلي" نسبة إلى الجاهل المشتقّ من الجهل، فهي لفظ مشتق من الجهل، والجهل في اللغة نقيض العلم، ويقول الألوسي: "هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم، فأما مَن لم يعلم الحقّ فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحقّ عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً"، ثم يقول: «قال أصحاب محمد ﷺ: كلُّ من عَملَ سوءاً فهو جاهلٌ، وإنْ علم أنه مخالف للحقّ، وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل، فمتى صدر خلافُه فلا بُدَّ من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم، فتصير جهلاً بهذا الاعتبار. فالناس قبل مبعث النبي ﷺ في حال جاهلية جهلاً منسوباً إلى الجاهل، فإنّ ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل"(١) ويستدل على رأيه بما روى البخاري في "صحيحه" عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا سَرَّكَ أن تعلم جهلَ العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة في سورة الأنعام: ﴿**قد خسر الذين قتلوا أولادَهُم سفهاً بغير علم وحَرَّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله قد ضلُّوا وما كانوا مهتدين**﴾ [الأنعام: ١٤٠]. فهذا الرأي يفسر الجهل بما يناقض العلم،ويفسر الجاهل بغير العالم.

على أن كثيراً من العلماء والباحثين يرون أنَّ الجهل الذي وُصف به العرب قبل الإسلام مأخوذ من الجهل ضد الحلم،والمقصود بالجهل المنافي للحلم السفه والطيش والتهور وعدم ضبط النفس. يقول الدكتور شوقي ضيف: "وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جلَّ وعزَّ وما يطوى فيه من سلوك خلقي كريم"(٢).

ويرجع كثير من الباحثين أن الجاهلية مأخوذة من الجهل الذي هو ضد الحلم، فالحلم سيِّد الأخلاق، إذ تندرج تحته الصفات الحميدة، ومن اتصف بالحلم اتصف بالاتزان والحكمة وضبط النفس، فالجهل المنافي للحلم يتمثل في الحميَّة والسَّفه

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي جـ ١ ص١٦-١٧.

(٢) العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص٣٩.

والطيش والتهور وعدم ضبط النفس وشدة الثورة عند الانفعال والغضب، وهذه الصفات كانت منتشرة عند العرب قبل الإسلام، فكانوا يثورون ويغضبون، وقد تشتعل بينهم الحروب والمعارك لأتفه الأسباب. ولكني أرى أن الإسلام المقابل لمعنى الجاهلية هو الاستسلام للقوانين الفطرية التي بَرأَ اللهُ الكونَ عليها وجعلها طريق سيادته وسعادته.

وقد ورد استعمال كلمة الجهل ومشتقاتها من الجهل الذي هو ضدّ الحلم كثيراً في القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر العرب، ففي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عن الجاهلينَ**﴾[الأعراف : ١٩٩] وقوله تعالى: ﴿**وعبادُ الرحمٰنِ الذينَ يمشون على الأرضِ هَوْناً وإذا خاطَبَهُمُ الجاهلونَ قالوا سلاماً**﴾[الفرقان: ٦٣] أما الحديث الشريف فمما روي من أن الرسول ﷺ قال لأبي ذر حينما عيَّر رجلاً بأمِّه: "إنك امرؤ فيك جاهلية" وقوله علية الصلاة والسلام: "إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل"(١) وكذلك ورد في الشعر الجاهلي مما يدل على أن الجهل بمعنى الغضب والطيش والسفه كان جارياً في الأساليب الأدبية عند العرب، كقول عمرو بن كلثوم التغلبي:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحـــدٌ علينـا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا (٢)

وقول أبي خراش الهذلي:

يعودُ على ذي الجهلِ بالحلم والنُّهى ولم يكُ فحَّاشاً على الجارِ ذا عَذْمِ (٣)

ويؤكدون أن الرأي الأول الذي يفسر الجهل بما يناقض العلم، حيث يرى أن العرب قبل الإسلام كانوا جاهلين، أي: غير عالمين أو غير متبعين مايقتضيه العلم، فالحقّ في رأيهم أن هذا الرأي مجانب للصواب، فقد عرف عن العرب الجاهليين أنهم كانوا أهل ذكاء ودراية، وأهل بلاغة وفصاحة، وكان لهم أذهان صافية، ونظرات ثاقبة في أحوال الإنسان، وما يشاهدونه في حياتهم، وما يتصل بها بما يشهد لهم أنهم أصحاب معارف، وأنهم على شيءٍ من العلم والتفكير. ثم إن ما يروي لهم من الشعر

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي جـ ١ ص١٦-١٧.

(٢) تاريخ الأدب الجاهلي للدكتور علي الجندي ١/ ١٦.

(٣) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٢٤.

يدل على نفوسهم الصافية، وعواطفهم الصادقة، وإحساساتهم الرقيقة، ومشاعرهم الجياشة ويكشف لنا مدى تفوقهم في ميدان الفصاحة والبلاغة، وتمرّسهم في أساليب الأدب.

وإذا كان القرآن الكريم الذي هو في أعلى درجات البلاغة، وأقوى مراتب البيان، قد نزل تحدّياً لهم، فسجد الأدباء والشعراء لأسلوبه، وعجزوا عن مجاراته، مع أنهم كانوا يفهمون معانيه، ويدركون مراميه،وقد بهرهم أسلوب القرآن بما فيه من بلاغة وإعجاز. فكل هذا يدلّ على ما كان لهم من تقدّم ورسوخ قَدَمٍ في أساليب البلاغة والأدب، وهذا كلّه لا يتسنى لجاهل ليس لديه شيء من العلم والمعرفة.

ولكن ألا يمكن أن نفهم معنى الجاهلية على المعنى المضاد للعلم والحِلْم معاً؟ فقد ذهب كثير من الباحثين[1] إلى ترجيح أن المراد بالجاهلية التي وردت في القرآن والحديث معنى الطيش والسفه وعدم الحِلْم، ولكن ألا يجوز أن تكون الجاهلية الواردة في كتاب الله وحديث رسول الله معنيّاً بها الوصفين جميعاً؟ فقد كان العرب أُميّينَ ولم يكونوا علماء، وكانوا طائشين ولم يكونوا حلماء، فالصفتان كلتاهما موجودتان فيهم. وذلك يكون أبلغ وأدقّ في معنى وصفهم بالجاهلية.

أما إذا أردنا بالجهل الجهل الديني،ففي هذا الحال يكون وصف العرب بالجهل الديني وصفاً معقولاً، ومطابقاً للواقع ومقبولاً، فالعرب في الجاهلية كانوا في ضلال ديني، وظلام دامس في العقيدة، حيث كان فيهم المشركون والنصارى واليهود وغيرهم، ولم يكونوا على معرفة بالدين الصحيح حتى جاء الإسلام وهداهم إلى الطريق المستقيم، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، فاهتدوا إلى الدين القويم والعقيدة الصحيحة.

على أننا إذا قلنا: إن المراد بالجهل الذي وصُف به العرب قبل الإسلام مأخوذ من الجهل ضدالحِلْم، ومعناه السفه والطيش والتهور، فليس معنى ذلك أن هذا ينطبق على جميع أفراد القوم، فلم يكن كلّ واحد منهم يتصف بهذه الصفات التي تناقض التعقل والاتزان، والحكمة والروية، فقد اشتهر كثير من رجالهم ونسائهم بالعقل السديد،والرأي الرشيد، والنظر الصائب، والفكر الثاقب، حتى إن العرب اتخذوهم حكاماً يُحَكِّمونَهم في خلافاتهم، ويستشيرونهم في أمور حياتهم، بل لقد كان لكل

---

(١) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص٣٩.

قبيلة من قبائلهم حَكَمٌ يرجعون إليه، ويتحاكمون لديه، ومثل هؤلاء كثيرون عند العرب لا يسعهم الحصر، ولا يحصيهم العَدُّ، وقد أفاض الألوسي بذكر كثير منهم ومن هؤلاء:

هاشم بن عبد مناف القرشي وكان من أكابر رجالات قريش وحكامهم وساداتهم ورؤسائهم، وقد ملك الرفادة والسقاية[1] بعد أبيه، وصارت إليه الرياسه في قريش فكانت تنقاد لأمره وتعمل برأيه. وكذلك عبد المطلب بن هاشم وهو جدّ الرسول ﷺ، وكان من حكام قريش وساداتها، ويدعى "شيبة الحمد" لكثرة حمد الناس له، وبلغ من حكمته ورجاحة عقله أنه حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية، وروي أنه كان مجاب الدعوة، ثم أبو طالب عمّ النبي ﷺ. ومنهم أكثم بن صيفي بن رباح من حكام تميم، وكان فصيحاً عالماً بالأنساب. وحاجب بن زرارة التميمي من حكام تميم كذلك، وهو من مشاهير الفصحاء والبلغاء، وكان على دراية بأخبار العرب وأحوالهم وأنسابهم، ثم الأقرع بن حابس التميمي. ومنهم غيلان بن سلمة الثقفي والعاص بن وائل القرشي، وربيعة بن حذار الأسدي، ومالك بن جُبير العامري، وعمرو بن حُمَمَة الدوسِي، والحارث بن عباد الربيعي، وذو الأصبع العدواني وهرم بن قطبة بن سنان الفَزاري، وحِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر الفزارِي.

وكذلك نساؤهم فقد اتصف بعضهن بالحكمة وشدة الذكاء ورجاحة العقل وحسن الرأي، وفصل الخصومات، ومنهن هند بنت الخُسّ الإيادية وأختها جمعة، وصُحُر بنت لقمان، وخُصَيْلة بنت عامر بن الظرب العدواني، وحِذام بنت الريان وغيرهن[2].

وقد اختلف العلماء والمفسرون في المراد في الجاهلية الأولى في قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ [الأحزاب: ٣٣] فقال بعضهم: الجاهلية الأولى كانت في الزمن الذي ولد فيه إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: إنها الزمن الذي بين آدم ونوح عليهما السلام، وقال ابن عباس: ما بين نوح وإدريس عليهما السلام، وقال الكلبي: ما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام، وقال الثعلبي: هي الفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل غير ذلك[3].

---

(١) سيأتي الحديث عنهما في الفصل الثالث.

(٢) انظر: بلوغ الأرب للألوسي ١/٣٠٨ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق ١/١٧-١٨.

على أن كلمة "الجاهلية" كانت تطلق على العصر القريب من الإسلام، أي: على العصر السابق له مباشرة، لأن الذي يُفهم من كتب الحديث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يفهمون من "الجاهلية" الزمن الذي عاشوا فيه قبل الإسلام، وقبل نزول الوحي، فقد كانوا يسألون الرسول ﷺ عن أحكامها،وعن العهود التي قطعوها على أنفسهم قبل إسلامهم،وقد سبق ما ذهب إليه "ابن خالويه" أيضاً من أن هذا الاسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة المحمدية.

أما الباحثون في الأدب الجاهلي فلا يرجعون به إلى ما وراء قرن ونصف من مبعث الرسول ﷺ، لأنه في تلك الحقبة الزمنية قدتكاملت للغة العربية خصائصها، التي جاءنا عنها الشعر الجاهلي، وقد لاحظ ذلك الجاحظ حين أراد تحديد العصر الجاهلي فقال: "أما الشعر فحديث الميلاد صغير السِّنّ، أول من نهج سبيله وسهَّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حُجر ومهلهل بن ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له ـ إلى أن جاء الله بالإسلام ـ خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"(١) وكلام الجاحظ يعتبر ملاحظة دقيقة، لأن ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول.

فيتضح مما تقدم أن الجاهلية هي الفترة التي سبقت الإسلام، أو الزمن الذي كان قبل مبعث الرسول ﷺ. أما الجاهلية الأولى فيبدو أن الأرجح أنها ما وراء الزمن الذي سبق الإسلام بقرن ونصف أو قرنين على الأكثر، وبعبارة أخرى أنها الزمن الذي كان قبل البعثة المحمدية بقرن ونصف أو قرنين على الأكثر. يقول الدكتور شوقي ضيف: "نقف بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحدودة، أي: عند مئة وخمسين عاماً قبل الإسلام، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى"(٢).

---

(١) الحيوان للجاحظ ط الحلبي جـ ١ ص٧٤.

(٢) العصر الجاهلي د. شوقي ضيف ص٣٩.